

نواب إدارة قلعة الموصل خلال العصر الاتابكي (٥٢١-٦٣١هـ/١١٢٧-١٢٣٤م)

د. ميسون ذنون العباي*
*

ملخص البحث

يتناول البحث الكشف عن اهم نواب ادارة قلعة الموصل في العصر الاتابكي (٥٢١-٦٣١هـ/١١٢٧-١٢٣٤م) ، اذ اصبحت قلعة الموصل في هذه الفترة من اهم الوحدات الادارية والعسكرية والتي وقعت على عاتقها مسؤولية الدفاع عن المدينة ، وكان الذي يتولى ادارة القلعة موظف اطلقت عليه المصادر التاريخية (دردار القلعة) والتي تعني نائب القلعة، او (مستحفظ القلعة)، ويعين هذا النائب من قبل حاكم الموصل الاتابكي. وكان له دورا كبيرا في ادارة القلعة من حيث الدفاع عن المدينة ضد الاخطار الخارجية ، اذ يقوم بشحن القلعة بالرجال والاسلحة في سبيل مواجهة هذا الخطر ، واحيانا يقود الجيش بنفسه في سبيل اعادة منطقة ما كانت تابعة اداريا للموصل ، وتعطى له صلاحيات واسعة ، ولم تقتصر وظيفة النائب على ادارة قلعة الموصل فقط ، وانما معظم القلاع التي كانت تابعة اداريا للموصل مثل قلعة كواشي ، وقلعة العمادية ، وقلعة عقر الحميدية...الخ، وبلغ عدد من تولى هذا المنصب في عصر الدولة الاتابكية ستة نواب ، كان من ابرزهم جاهد الدين قايماز ، وبدر الدين لؤلؤ .

Abstract:

This study is an attempt to explore the history of the most important administration agents Al-Mosul Castle during the Atabic-era (١١٢٧-١٢٣٤ AC./٥٢١-٦٣١ AH.), When the Mosul Castle had become one of the most important military and administrative units that was employed by the Atabic Mosul rule to run the castle was called "Dizdar Al Qal'a" which means the agent of the Castle or (the protector of the Castle) .This agent plays a crucial role in running the Castle and defending the city

* مدرس / مركز دراسات الموصل.

دراسات موصلية. العدد الخامس والعشرون. رجب ١٤٣٠هـ- تموز ٢٠٠٩م

from foreign attacks . He, thus, supplies the Castle with soldiers and weapons to defeat any attacks, and he some times lead the army himself so to get back an occupied region that Was within the Mosul district . therefore, the agents of the Castle was given so many privileges . This from of ruling was not restricted to Mosul- Castle only but it involved all the Castle that were directly linked to Al-Mosul . Among these Castles were Qal'at –Kawashi' Qal'at Al 'imadiyya, Qal'at-'Aqril Hamediyyaetc..

The history provides tgat six persons got this position of the Castle – agents ; tge most prominent of were Mujahidil Din Qaimaz and Badil-Din Lulu.

المقدمة

القلعة بناء قديم تنشأ عادة لأغراض عسكرية دفاعية، فمدينة الموصل كانت بالأصل عبارة عن حصنين الحصن الغربي حيث بناه الآشوريون على تل يدعى (تل قليعات) وهو من اكبر التلال في الموصل^(١)، والحصن الآخر هو الحصن الشرقي الذي بني في تل التوبة المقابل لتل قليعات^(٢)، وبرز دور قلعة الموصل في أيام حكم الدولة الآتابكية (٥٢١-٦٣١هـ/١١٢٧-١٢٣٤م) في الموصل، وطبقاً لذلك ظهر منصباً مهماً في هذه الفترة ألا وهو منصب (نزداد القلعة) أي (مستحفظ القلعة) أو (نائب القلعة)، وكان عادة ما يعين من قبل الحاكم الآتابكي، وتمنح له صلاحيات واسعة، حيث لم يكن مسؤولاً عن إدارة قلعة الموصل فقط، بل القلاع التابعة إدارياً للموصل، وكانت له صلاحية قيادة الجيش في بعض الأحيان، خاصة عندما يتطلب الأمر منه استرجاع قلعة ما، كان قد استولى عليها طرف ما من الأطراف التي كانت في صراع مع الموصل، ومن هنا تأتي أهمية موضوعنا هذا، في التعرف على ابرز نواب قلعة الموصل، والدور العسكري والسياسي الذي لعبوه في إدارة القلعة، والتعرف على ابرز الصلاحيات التي كانت تعطى لهم، ثم اثر ذلك على حكام الدولة الآتابكية في الموصل والدول المجاورة لها. لذا قسم البحث إلى عدة نقاط أساسية منها مثلاً إعطاء لمحة موجزة عن القلعة، من حيث وصف موقعها الجغرافي، وزمن إنشائها، ثم الطريقة التي يتم بها إدارة القلعة، وأخيراً ذكر النواب الذين قاموا بإدارتها.

وصف القلعة:

تقع قلعة الموصل على الأرض التي تشرف على دجلة وعين كبريت شمال الميدان^(٣)، وقد وصفها الرحالة ابن جبير (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) عند زيارته الموصل سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) قائلاً: "وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصاً ينتظمها سور عتيق البنية مشيد البروج وتتصل به دور السلطان وقد فصل بينهما وبين البلد شارع متسع من أعلى البلد إلى أسفله"^(٤). وكان يحيط بها سور هو غير سور الموصل المعروف^(٥).

وكان للقلعة عدة ابواب من اهمها:

باب القلعة: ويؤدي من القلعة الى الميدان، وكان يقابل الغرب، أي انه يقابل الباب الغربي والمعروف بباب سنجار^(٦).

باب السر: وهو من امنع ابوابها، ويؤدي من القلعة الى النهر من جهة عين كبريت^(٧)، ولايفتح إلا عند الحاجة، وقد جاء ذكره لدى ابن الأثير أثناء حصار صلاح الدين الايوبي لمدينة الموصل سنة (٥٧٨هـ/١١٢٨م) فقال: ان مجاهد الدين اخرج في بعض الليالي جماعة من باب السر الذي للقلعة ومعهم المشاعل فكان اقدمهم يخرج من الباب وينزل الى دجلة مما يلي عين كبريت^(٨).

وبقيت القلعة عامرة حتى سنة (٦٦٠هـ/١٢٦١م) حيث حاصر الموصل القائد المغولي سنداغو في هذه السنة، ونصب عليها المنجنقات، وشدد المغول الحصار على من في القلعة، ورموها بالأحجار والنار، فهدموا القلعة وقتلوا من فيها. ولم تزل بقاياها تعرف اليوم باسم (باشطابيا)^(٩).

ولا نعرف بالتحديد تاريخ بناء القلعة، لكن أول ذكر لها كانت في زمن حكم الدولة العقيلية (٣٨٠-٤٨٩هـ/٩٩٠-١٠٩٥م) في الموصل، وذلك في سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م)^(١٠)، وهناك إشارتين وردت لدى ابن الأثير الأولى في سنة (٤٥٠هـ/١٠٥٨م) عند حديثه عن البساسيري وقريش بن بدران العقيلي اللذين هاجما الموصل بعد أن فارقه إبراهيم ينال، فاستولوا على المدينة لكن القلعة لم يستطيعوا السيطرة عليها فحاصرواها مدة أربعة اشهر "ولما فارق إبراهيم الموصل قصدها البساسيري وقريش بن بدران وحاصرواها فملكوا

البلد وبقية القلعة وبها الخازن واردم وجماعة من العسكر فحاصرها أربعة اشهر..."، ولم يرحل عنها إلا بعد أن خاطبها صاحب اربل فخرجوا من القلعة أي البساسيري وبدران بن عقيل^(١١). والثانية في سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) عندما ذكر أن الذي كان يتولى قلعة الموصل في عصر الحاكم السلجوقي جكرمش هو غزلي والذي اطلق عليه مستحفظ القلعة^(١٢)، وكذلك في سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) عندما كان جاولي مستحفظاً لقلعة الموصل من قبل اق سنقر البرسقي قبل أن يتولى عماد الدين زنكي (٥٢١-٥٤١هـ/١١٢٧-١١٤٦م) إدارة الموصل^(١٣).

وبعدها تردد ذكر القلعة عدة مرات خلال العصر الاتباكي، وخاصة في عهد مؤسس الدولة الاتباكية عماد الدين زنكي^(١٤). ويمكن القول أن المصدر الأساس الذي زودنا بمعلومات وافية عن القلعة والذي كان يديرها في عصر الدولة الاتباكية هو كتابي "الكامل في التاريخ" وكتاب "الباهر في الدولة الاتباكية" للمؤرخ ابن الأثير، الذي ألف كتاب "الباهر" والخاص بتاريخ الدولة الاتباكية وحكامها، فانه من دون شك مصدراً اولياً لنواب القلعة، ثم اصبح فيما بعد مصدر معلومات لمعظم المصادر التي أرخت للدولة الاتباكية في الموصل مثل المؤرخ أبي شامة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) في كتابه "الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية".

إدارة القلعة:

كانت الوظيفة الرئيسية التي تؤديها القلعة هي عسكرية بالدرجة الاولى، حيث فيها الجنود والعساكر^(١٥)، ومهمتها الدفاع عن المدينة ضد أي خطر خارجي، وكان الذي يتولى ادارة القلعة موظف اطلقت عليه المصادر التاريخية عدة تسميات منها الذردار^(١٦) او صاحب القلعة، أو (النائب)، وكان يتم تعيينه عادة من قبل صاحب الموصل، وهو من اهم المناصب التي ظهرت اثناء الحكم السلجوقي للموصل، وبداية الحكم الاتباكي والتي استمرت حتى نهاية هذه الدولة.

ولم تشر المصادر التاريخية إلى مهام هذا الموظف بالتفصيل، والأعمال التي كلف بها، وتكتفي بالإشارة إلى انه كان على النائب أن يدير شؤون الموصل وبقية أجزاء الإمارة نيابة عن صاحب الموصل عند غياب الأخير^(١٧)، والإشراف عليها عسكرياً، مثل قيامه بتحصين المدينة^(١٨)، وحفر خنادقها، واعداد العساكر، عند قيام اية جهة بالاعتداء على الموصل،

وحتى انه كان يخرج بجيش الموصل^(١٩) لمحاربة جهة ما تتعرض لمدينة الموصل بصورة مباشرة أو غير مباشرة، كما كان يقوم بجباية الضرائب، وجمع الأموال^(٢٠).

وهناك وظيفة اخرى وهي النقيب ولم تحدد المصادر التاريخية طبيعة هذه الوظيفة حيث انفرد المؤرخ ابن الأثير بذكر هذه الوظيفة وذلك في سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م) وهي السنة التي قتل فيها نصير الدين جقر صاحب قلعة الموصل في عهد عماد الدين زنكي، حيث ذكر ما نصه: "وكان بقلعة الموصل نقيب اسمه حسن، فلما قتل نصير الدين، اغلق باب القلعة وجمع الاجناد عنده في حفظها"^(٢١)، ويمكن القول أن وظيفة النقيب كانت تأتي في الاهمية بعد منصب دزدان القلعة، حيث يتولى مهمة حفظ القلعة في حالة غياب الدزدان او قتله.

ومن هنا نستطيع القول أن القلعة كانت بحد ذاتها مؤسسة إدارية ذات وظيفة عسكرية لها موظفوها يديرون شؤونها، وتشكل مركز الدفاع عن المدينة بما تضم من الجند والسلاح^(٢٢)، فقال ابن الشعار الموصلية (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) بهذا الصدد عند حديثه عن الأديب يحيى بن محمد إذ كان الأخير موظفاً في القلعة، يتولى كتابة الرقاع إلى القرى والنواحي وذلك عندما كان نور الدين أرسلان شاه بن مسعود (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١١م) حاكماً على الموصل^(٢٣)، ويبدو أن في القلعة أيضاً خزائن صاحب القلعة ايضاً^(٢٤)، وكان يسكنها عادة اسرة هذا النائب، وحتى أنها كان فيها سجن، حيث هناك عدة اشارات تاريخية اكدت على ذلك، من خلال ذكرها العديد من الشخصيات البارزة التي سجنّت في القلعة، مثل جمال الدين محمد بن علي الاصفهاني وزير قطب الدين مودود (٥٤٤-٥٦٥هـ/١١٤٩-١١٦٩م) الذي قبض عليه سنة (٥٥٨هـ/١١٦٢م) وأودع في سجن بالقلعة^(٢٥).

نواب القلعة وصلاحياتهم الإدارية والعسكرية:

تولى إدارة القلعة عدة نواب خلال العصر الاتابكي، وبالتحديد منذ مجيء عماد الدين إلى الموصل، وكانت تتم التولية من قبل صاحب أو حاكم الموصل، وقد اختلفت صلاحياتهم الإدارية من نائب إلى آخر، وحسب الصلاحيات التي كان يعطيها له صاحب الموصل وكان ترتيبهم على النحو الآتي وحسب التسلسل الزمني لتوليتهم:

اولاً: نصير الدين جقر بن يعقوب (٥٢١-٥٢٩هـ/١١٢٧-١١٤٤م):

وهو أول نائب يعينه عماد الدين زنكي عند توليه إدارة الموصل، وكان يساعده في حكم الموصل، حيث أشار ابن الأثير إلى ذلك بالقول: " فولى قواعدها نصير الدين دزدارية القلعة بالموصل وجعل إليه سائر دزدارية القلاع" (٢٦).

وكان يتمتع بصلاحيات واسعة بحيث أصبح نائب زنكي في إدارة الموصل والأعمال جميعها والتي تقع شرق الفرات (٢٧)، بحيث الذي يريد السيطرة على الموصل يجب أن يقضي على نصير الدين جقر أولاً (٢٨).

ثانياً: زين الدين علي كجك بن بكتكين (٥٣٩-٥٦٣هـ/١١٤٤-١١٦٨م):

تولى إدارة القلعة بعد مقتل نصير الدين جقر سنة (٥٣٩هـ/١١٤٤م)، وقد عاصر من اتابكة الموصل سيف الدين بن عماد الدين زنكي (٥٤١-٥٤٤هـ/١١٤٦-١١٤٩م)، وكذلك قطب الدين مودود بن عماد الدين.

ووصلت صلاحياته بحيث أصبح مسؤولاً عن إدارة العديد من المناطق التابعة إدارياً لمدينة الموصل، مثل سنجار، وحران، واربل، وشهرزور، وقلعة عقر الحميدية، وقلعة الهكارية (٢٩)، وقال ابن الأثير بصدد ذلك ما نصه: " وكان هو الحاكم في الدولة. وأكثر البلاد بيده منها اربل وجميع بلد الهكارية وقلعه منها العمادية وبلد الحميدية وتكريت وسنجان وقلعة الموصل هو بها" (٣٠).

وكانت له الكلمة المسموعة في تعيين احد ولاة الموصل، فعند وفاة سيف الدين غازي سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) اتفق كل من جمال الدين الوزير وزين الدين على تملك الموصل لقطب الدين مودود (٣١)، حتى انه في سنة (٥٥١هـ/١١٥٦م) خرج بجيشه إلى شهرزور وتمكن من القبض على سليمان شاه الذي كان يريد السيطرة على بغداد، وقد سار به إلى قلعة الموصل وحبسه (٣٢). وكانت نهاية زين الدين أن اصيب بالعمى والطرش، واضطر إلى لزوم بيته في اربل، إلى أن توفي سنة (٥٦٣هـ/١١٦٨م)، وقد وصفه ابن الأثير بالقول " وكان من اشجع الناس، ميمون النقيبة لم تهزم له راية، وبنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها" (٣٣).

ثالثاً: فخر الدين عبد المسيح (٥٣٦-٥٦٦هـ/١١٦٨-١١٧١م):

وتولى إدارة القلعة بعد وفاة زين الدين فخر الدين عبد المسيح، من قبل قطب الدين مودود، وبعد أن تولى إدارتها قام بأعمارها لان زين الدين لم يهتم بالعمارة، فاصبحت القلعة في عهده خراباً (٣٤).

وقد تمكن فيما بعد من السيطرة على امور البلاد، حيث بعد أن توفي قطب الدين مودود، اتفق مع ابنة حسام الدين تمرتاش وهي والدة سيف الدين الثاني على ابعاد عماد الدين زنكي عن ولاية الموصل، وتسليم إدارتها إلى سيف الدين، وبالفعل تم توليته، وهو صغير السن وكان فخر الدين هو الذي يدير البلد، وليس لسيف الدين إلا اسمه ذلك لان عماد الدين كان مقرباً من عمه نور الدين زنكي (٥٤١-٥٦٩هـ/١١٤٦-١١٧٤م)^(٣٥)، فهذه الأمور دفعت عماد الدين إلى الالتجاء إلى عمه نور الدين فجاء الأخير إلى الموصل سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م)، وحاصرها إلى أن طلب فخر الدين الأمان فوافق نور الدين على ذلك، وأصبحت الموصل تحت سيطرته، وافر بنفسه سيف الدين غازي حاكماً عليها، واخرج معه فخر الدين إلى الشام تاركاً الموصل^(٣٦).

رابعاً: سعد الدين كمشتكين (٥٦٦-٥٦٩هـ/١١٧١-١١٧٤م):

وقد ولاه إدارة القلعة نور الدين زنكي، وطلب من سيف الدين وأمره ان لا ينفرد عنه بقليل من الأمور ولا بكثيرها^(٣٧).

لذا لا نجد لسعد الدين أي صلاحيات تذكر، فقط أشار ابن الأثير إلى ان سعد الدين خرج مع جيش سيف الدين غازي لغزو الفرنج، لكن في الطريق جاءهم نبأ وفاة نور الدين سنة (٥٦٩هـ/١١٧٤م)، فهرب على اثر سماع الخبر^(٣٨).
خامساً: مجاهد الدين قايماز^(٣٩) (٥٧١-٥٩٥هـ/١١٧٦-١١٩٩م):

وهو من أهم الشخصيات واشهرها التي تولت إدارة القلعة،، وكان قبل ذلك مسؤولاً عن إدارة اربل وأعمالها من قبل زين الدين بن بكتكين، وانتقل إلى مدينة الموصل سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م)، وبعدها ولاه سيف الدين غازي الثاني (٥٦٥-٥٧٦هـ/١١٧٠-١١٨٠م)، إدارة القلعة، ولايد أن خبرته السابقة ونجاحه في إدارة اربل، قد كان له اثراً كبيراً في نجاحه أيضا بإدارة قلعة الموصل، وهذا ما أكد عليه ابن خلكان بالقول: "وفوض إليه الاتابك سيف الدين غازي مودود صاحب الموصل الحكم في سائر البلاد لما رآه من حسن مقاصده..."^(٤٠).

وقد لعب دوراً كبيراً عندما تعرضت مدينة الموصل للحصار من قبل صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٨هـ/١١٨٤م)، حيث اخرج من ماله الخاص كثيراً، ودار الأمور بنفسه أثناء الحصار^(٤١)، وشارك في المفاوضات التي جرت بين صلاح الدين والجانب الموصلية أثناء الحصار الأول للموصل^(٤٢)، وحتى أن صلاح الدين قرر للمرة الثانية الاستيلاء على

الموصل بعد سماعه نبأ القبض على مجاهد الدين من قبل عز الدين مسعود سنة (٥٧٩هـ/١١٨٥م)^(٤٣). وكان لمجاهد الأثر الكبير في إنهاء أزمة الحصار الثالث للموصل سنة (٥٨١هـ/١١٧٢م) من قبل صلاح الدين أيضاً، والتوصل إلى عقد صلح نهائي بين الطرفين، وأكد ابن الأثير ذلك بالقول: "وأمنت الدنيا، وسكنت الدهماء، وانحسرت مادة الفتن، وكان ذلك بتوصل مجاهد الدين قايماز، رحمه الله"^(٤٤).

وكان من أهم النواب الذين كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة، حيث كانت بيده اربل وأعمالها، وتحت حكمه جزيرة ابن عمر، وبيده أيضاً شهرزور وأعمالها، وقلعة عقر الحميدية^(٤٥)، أما عز الدين مسعود الأول (٥٧٦-٥٨٩هـ/١١٨٠-١١٩٣م) فإنه لم يبق له سوى الموصل وقلعتها وهي أيضاً بيد مجاهد الدين^(٤٦)، مما دفع احد الوشاة إلى تحريض عز الدين للقبض على مجاهد الدين، وبالفعل قبض عليه، وأودع في السجن سنة (٥٧٩هـ/١١٨٤م)، وعين بدله رجلاً يدعى عز الدين محمود زلفندار^(٤٧)، وقد أدى ذلك إلى طمع صلاح الدين بأخذ الموصل مرة ثانية^(٤٨)، فلما رأى عز الدين أن البلد سوف يتعرض للضرر قرر إطلاق سراحه في سنة (٥٨٠هـ/١١٥٨م)، بعد أن توسط له صاحب همذان وبلاد الجبل^(٤٩).

وبقي في منصبه هذا إلى حين وفاته سنة (٥٩٥هـ/١١٩٩م)^(٥٠)، وقد وصف بأنه كان من صالحى الأمراء وأرباب المعروف، وبنى الكثير من الربط والجوامع والخانات والقناطر على الأنهار، ومن أشهر الجوامع التي بناها هو الجامع المجاهدي الذي إليه ينسب^(٥١).

سادساً: بدر الدين لؤلؤ (٥٩٥-٦٣١هـ / ١١٩٩-١٢٣٤م):

كان أقوى هؤلاء النواب وأكثرهم تمكناً، وكان له الأثر الكبير في القضاء على الدولة الاتابكية سنة (٦٣١هـ/١٢٣٤م)، بفعل منصبه كنائب لقلعة الموصل، فقد تم تعيينه من قبل نور الدين ارسلان شاه الأول (٥٨٩-٦٠٧هـ/١١٩٣-١٢١١م) بعد وفاة مجاهد الدين قايماز^(٥٢)، وكانت السلطة الفعلية بيده أثناء توليه هذا المنصب في عهد نور الدين ارسلان شاه^(٥٣)، وقد اتاحت الفرصة أمام بدر الدين لؤلؤ ليلعب دوراً كبيراً في إدارة أمور الدولة الاتابكية في الموصل في هذه الفترة، وذلك لضعف هؤلاء الملوك الذين كان معظمهم صغار في السن، فسهل ذلك لبدر الدين السيطرة عليهم، ثم التحكم في أمور الدولة بصورة مباشرة، وهذا ما نجده واضحاً بعد وفاة الملك نور الدين ارسلان شاه الأول في (رجب سنة

٦٠٧هـ/١٢١١م)، ومجيء ولده عز الدين مسعود الثاني الملقب بالملك القاهر (٦٠٧-٦١٥هـ/١٢١١-١٢١٨م)، والذي كان صغيراً في السن حيث كان يبلغ من العمر عشر سنوات^(٥٤)، إذ كان بدر الدين مسؤولاً عن تنصيب الملك القاهر حيث أجلسه مكان أبيه، ثم عُين بدر الدين ليكون مديراً لشؤون الدولة^(٥٥)، وقد أرسل بدر الدين إلى الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م) يطلب منه الاعتراف بهذا الوضع، فاستجاب الأخير لهذا الطلب^(٥٦).

ولعب بدر الدين دوراً كبيراً في الخلافات التي كانت تدور بين أفراد الدولة الاتابكية نفسها، ثم مواجهة الأخطار الخارجية التي كانت تتعرض لها الموصل وخاصة من قبل مظفر الدين وكبوري صاحب اربل، والذي كان في صراع دائم مع الدولة الاتابكية في الموصل، فمن تلك الصراعات التي حدثت في عهد الملك القاهر هي تمكن عماد الدين زنكي وهو عم نور الدين من الاستيلاء على قلاع الهكارية والزوزان^(٥٧) والتي كانت تابعة لإدارة الموصل^(٥٨)، وذلك بعد أن فشل بدر الدين في الاستيلاء على قلعة العمادية التي كانت بيد عماد الدين زنكي، مما دفع الأخير في الكتابة إلى قلاع الهكارية والزوزان طالباً منهم الدخول في طاعته^(٥٩)، مما دفع بدر الدين إلى الاتفاق مع الملك الأشرف ابن الملك العادل الذي كان يسيطر آنذاك على معظم الجزيرة الفراتية، وذلك لمواجهة خطر عماد الدين زنكي ومظفر الدين كوكبوري بعد اتفاق الاثني عشر على بدر الدين^(٦٠)، وذلك في سنة (٦١٥هـ/١٢١٨م) وكانت النتيجة أن تمكن بدر الدين من هزيمة عماد الدين زنكي والاستيلاء على قلعة الحميدية^(٦١)، وبذلك عادت هيبة العسكر الموصلية، وتم الصلح بين بدر الدين وعماد الدين زنكي بأمر من الخليفة الناصر والملك الأشرف^(٦٢) وفي تلك الأثناء توفي نور الدين، فاجلس بدر الدين مكانه أخاه ناصر الدين محمود (٦١٦-٦٣٠هـ/١٢١٩-١٢٣٢م) وكان عمره ثلاث سنوات^(٦٣)، وهنا تجدد الصراع مرة أخرى بين بدر الدين من جهة وعماد الدين زنكي ومظفر الدين كوكبوري من جهة أخرى، مستغلين صغر سن ناصر الدين^(٦٤)، فقاما بعدة غارات على أطراف الموصل ونهبوا وخرّبوا بها^(٦٥)، وهكذا استمرت الصراعات ما بين الطرفين كانت نتيجتها مرة لصالح عماد الدين زنكي ومرة أخرى لصالح بدر الدين لؤلؤ في نفس السنة التي توفي فيها الملك القاهر، فقد تمكن عماد الدين من

الاستيلاء على قلعة كواشي^(٦٦)، وبالمقابل استولى بدر الدين على تل يعفر سنة (٦١٧هـ/١٢٢٠) بمساعدة حليفه الملك الأشرف بن الملك العادل^(٦٧).

وحدث تطور مهم في سنة (٦١٨هـ/١٢٢١م) أن أرسل أهالي قلاع الهكارية والزوزان التي كانت تحت سيطرة عماد الدين زنكي بعد رؤيتهم سوء معاملة عماد الدين زنكي لهم، فشاور بدر الدين لؤلؤ الملك الأشرف في ذلك، فوافق الأخير شريطة تعويضه بقلعة جديدة بنصيبين^(٦٨)، وتمكن بدر الدين لؤلؤ الاستيلاء على قلعة شوش^(٦٩) سنة (٦١٩هـ/١٢٢٢م) التي كانت لعماد الدين زنكي أيضا^(٧٠).

وعلى الرغم من هذه الاتفاقيات إلا أن مظفر الدين كوكبوري ظل في صراع مستمر مع بدر الدين لؤلؤ للاستيلاء على الموصل، إذ تمكن سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) من السير إليها وحصارها، لكن بدر الدين لؤلؤ بذل جهداً كبيراً في إفشال هذا الحصار، إذ قام بإحكام المدينة، ووضع الجند على أسوارها، وظهار آلات الحصار، فلما رأى مظفر الدين عدم قدرته على السيطرة على المدينة رحل عنها^(٧١).

وفي سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) استولى بدر الدين لؤلؤ على قلعتي العمادية وهروز واللتين رجعتا إلى طاعة عماد الدين زنكي بعد أن كان الأخير قد سلمهما إلى بدر الدين سنة (٦١٥هـ/١٢٢٨م) فلما كانت سنة (٦٢٢هـ/١٢٢٥م) استرجعهما بدر الدين لؤلؤ مرة أخرى^(٧٢).

وحاول مظفر الدين كوكبوري حصار الموصل مرة أخرى وذلك في سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) فبادر بدر الدين لؤلؤ الاستيلاء بالملك الأشرف مرة أخرى، فأسرع بالسير إلى حران، ثم غادرها إلى دنيسر^(٧٣) فماردين التي قام بتخريبها ونهبها^(٧٤)، فخاف الملك المعظم عيسى من يسيطر الملك الأشرف على ماردين، فأرسل إليه في أن يترك ماردين على أن يرحل هو عن حمص وحماه^(٧٥). وبهذه العملية خربت أعمال الموصل وماردين، إذ ذكر ابن الأثير ما نصه: "وعاد كل منهم إلى بلده، وخربت أعمال الموصل، وأعمال ماردين بهذه الحركة، فإنها كانت أجحف بها تتابع الغلاء وطول مدته، وجلاء أكثر أهلها، فأنتها هذه الحادثة فازدادت خراباً على خراب"^(٧٦).

واستمر بدر الدين في سياسة تحكمه بالموصل وأعمالها، التلخص من آخر حاكم اتابكي وهو ناصر الدين محمود بن القاهر عز الدين مسعود فأعلن وفاته سنة (٦٣١هـ/١٢٣٣م) فأعلن نفسه حاكماً على الموصل بعد ناصر الدين^(٧٧)، وأرسل إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠هـ/١٢٢٦-١٢٤٢م) يطلب منه تقليده حكم الموصل وأعمالها، فأقره الخليفة على ذلك^(٧٨)، ثم أسس إمارة موصلية جديدة استمرت لسنوات طويلة جداً.

الختام:

يمكن القول أن وظيفة نائب الموصل في قلعة الموصل أعلى وظيفة في الاتابكية واطرها، فكان للقائم بها سلطات واسعة يخولها له اتابك الموصل، وكان في معظم الأحيان الحاكم الفعلي للموصل، ودليل ذلك انه كان يتولى قيادة العساكر عند تعرض المدينة لخطر خارجي، او انه يقودها عندما يراد اخضاع منطقة ما للموصل، وكان يؤخذ بنظر الاعتبار رايه من قبل حاكم الموصل، ولربما أن الصلاحيات الواسعة التي اعطيت له كانت ناتجة عن كون حاكم الموصل الاتابكي في غياب دائم عن المدينة، او انه كان ضعيف، بحيث تتاح الفرصة لنائب الموصل في التحكم بالبلاد، عندما كان الحاكم قوي نجد انه لا يتمتع بصلاحيات واسعة كما في عهد عماد الدين زنكي، ولكن في معظم الأحيان يتمكن حاكم الموصل من القضاء على سلطة هذا النائب اما بعزله، أو حبسه، ويأتي بنائب جديد، وعلى كل حال كان لنائب الموصل دوراً كبيراً في حفظ المدينة، وهذا ما نلاحظه لدى مجاهد الدين قايمار الذي دافع على المدينة عند اراد صلاح الدين الايوبي السيطرة على المدينة لثلاث مرات، وقلعة الموصل وتحصيناتها كانت قد لعبت دوراً كبيراً في ذلك، لكن كان أقوى هؤلاء النواب هو بدر الدين لؤلؤ الذي استغل الظروف السياسية التي حصلت في اخر ايام حكام الدولة الاتابكية واستطاع ان ينصب نفسه حاكماً على المدينة وذلك بعد ان انتهى سيطرة الحكام الاتابكية على الموصل.

الهوامش:

- (١) ميسون ذنون العباسي: الكامل لابن الأثير مصدراً لدراسة الاحوال الحضرية في الموصل (رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، غير منشورة، ١٩٩٦)، ص ١٢٦.
- (٢) المرجع نفسه والصفحة.
- (٣) سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢)، ١/٣٣٠.

- (٤) ابوالحسين محمد بن احمد بن جبير: الرحلة، (بيروت، دار الكتاب اللبناني، القاهرة، دار الكتاب المصري، د.ت)، ص ١٦٧-١٦٨.
- (٥) الديوه جي: تاريخ الموصل، ٣٣١/١.
- (٦) المرجع نفسه والجزء والصفحة.
- (٧) المرجع نفسه والجزء والصفحة.
- (٨) عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم بن الأثير: الكامل في التاريخ، (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨)، ٤٨٦/١١.
- (٩) عبد المنعم رشاد: "الموصل في عهد الادارة الاتاكية"، موسوعة الموصل الحضارية مجموعة باحثين، (الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٩١)، ٢٠٥/٢.
- (١٠) سعيد الديوه جي: بحث في تراث الموصل، (جامعة الموصل، دار الكتب للطباعة والنشر، ١٩٨٢)، ص ٨٥.
- (١١) ابن الأثير: الكامل، ٦٣٩/٩.
- (١٢) المصدر نفسه، ٢٣٩ / ١١.
- (١٣) ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن خلكان: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: اعداد: رياض عبد الله عبد الهادي، (ط١، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٩٩٨)، ٣٤٧/١.
- (١٤) العبايجي: الكامل، ص ١٠٥.
- (١٥) ابن الأثير: الكامل، ١٠١/١١.
- (١٦) الذردار: بضم الدال وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وبعد الالف راء لفظ اعجمي معناه حافظ القلعة وهو الوالي والذي يعني حافظ القلعة. عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم بن الأثير: الباهر في الدولة الاتاكية، تحقيق: عبد القادر احمد طليمات، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٣)، ص ٣٥.
- (١٧) رشاد: "الموصل في عهد الادارة الاتاكية"، موسوعة الموصل، ١٨٠/٢-١٨١.
- (١٨) المرجع نفسه، ١٨٠/٢.
- (١٩) المرجع نفسه والصفحة.
- (٢٠) المرجع نفسه والصفحة.
- (٢١) الباهر، ص ٧٣.
- (٢٢) رشيد الجميلي: دولة الاتاكية في الموصل بعد عماد الدين زنكي: (ط٢، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٧٥)، ص ٢٨٢.
- (٢٣) كمال الدين ابي البركات بن الشعار الموصلية: قلائد الجمان في شعراء هذا الزمان، (مخطوط مصور عن نسخة مكتبة اسعد افندي في اسطنبول، رقم ٣٢٦)، ١/ورقة ٣١ ب.
- (٢٤) ابن الأثير: الكامل، ٥٠٠/١١.

- (٢٥) ابن الأثير: الباهر، ص ١١٩.
- (٢٦) المصدر نفسه، ٣٢٤/٨؛ الباهر، ص ٣٥.
- (٢٧) الكامل، ١٠٠/١١؛ الباهر، ص ٧١.
- (٢٨) الكامل، ١٠٠/١١.
- (٢٩) المصدر نفسه، ٥٦٣/١١.
- (٣٠) المصدر نفسه، ٣٣١/١١.
- (٣١) المصدر نفسه، ١٣٩/١١؛ الباهر ص ٩٤.
- (٣٢) الكامل، ٢٠٧/١١؛ الباهر، ص ١٠٨-١٠٩.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ١٣٦.
- (٣٤) ابن الأثير: الكامل، ٣٣٢/١١.
- (٣٥) المصدر نفسه، ٣٥٥/١١؛ الباهر ص ١٤٦.
- (٣٦) المصدر نفسه، ص ١٥٢-١٥٣.
- (٣٧) ابن الأثير: الكامل، ٣٦٥/١١.
- (٣٨) المصدر نفسه، ٤٠٦/١١.
- (٣٩) **مجاهد الدين قايماز**: وهو ابو منصور قايماز بن عبد الله الزيني، الملقب مجاهد الدين الخادم، كان عتيق زين الدين ابي سعيد علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل، وهو من اهل سجستان، وقد تقرب من الأخير، وفوض اليه إدارة اربل، وقد نجح في ادارتها، وسار في اهلها سيرة حسنة، وكانت له عدة اعمال عمرانية فيها حيث بنى مدرسة فيها، وقد انتقل إلى الموصل سنة (٥٧١هـ)، وسكن قلعتها، وتولى ادارتها. للتفاصيل ينظر: ابن خلكان: وفيات الاعيان، ٢٧٦/٢-٢٧٧.
- (٤٠) المصدر نفسه، ٢٧٧/٢.
- (٤١) عماد الدين الاصفهاني الكاتب: البرق الشامي، تحقيق: فالح صالح حسين، (ط١، عمان، مؤسسة عبد الحميد شومان، ١٩٨٧) ٣٥/٥؛ ابن الأثير: الكامل، ٤٩٩/١١.
- (٤٢) المصدر نفسه، ٤٨٦/١١.
- (٤٣) المصدر نفسه، ٥٠١/١١.
- (٤٤) المصدر نفسه، ٥١٧/١١.
- (٤٥) المصدر نفسه، ٥٠٠/١١.
- (٤٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٤٧) المصدر نفسه، ٤٩٩/١١-٥٠٠؛ الباهر، ص ١٣٨.
- (٤٨) المصدر نفسه، ٥٠١/١١.
- (٤٩) المصدر نفسه، ٥٠٤/١١.

- (٥٠) المصدر نفسه، ١٥٣/١٢.
- (٥١) المصدر نفسه، ٤٣٤/١١، ١٥٣/١٢-١٥٤.
- (٥٢) رشاد: "الموصل في عهد الادارة الاتاكية"، موسوعة الموصل، ١٨١/٢.
- (٥٣) سوادى عبد محمد الرويشدى: امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ، (ط١، بغداد، مطبعة الارشاد، ١٩٧١م)، ص٢٦.
- (٥٤) محمد سهيل طقوش: تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام، (ط١، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٩)، ص١٩٧.
- (٥٥) ابن الاثير: الكامل، ٣٣٤/١٢؛ الباهر، ص٢٠٤.
- (٥٦) ابن الأثير: الكامل، ٣٣٤/١٢.
- (٥٧) زوزان: ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر، فيها قلاع كثيرة حصينة. شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، (بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٥)، ١٥٨/١٠.
- (٥٨) ابن الأثير: الكامل، ٣٣٥/١٢.
- (٥٩) المصدر نفسه، ٣٣٦-٣٣٧/١٢.
- (٦٠) المصدر نفسه، ٣٣٧/١٢.
- (٦١) المصدر نفسه، ٣٣٨/١٢.
- (٦٢) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٦٣) المصدر نفسه، ٣٣٩/١٢.
- (٦٤) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٦٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٦٦) قلعة كواشي: قلعة حصينة في الجبال التي شرقي الموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٤٨٦/١٦. ابن الأثير: الكامل، ٣٤١/١٢.
- (٦٧) المصدر نفسه، ٣٤٣/١٢.
- (٦٨) المصدر نفسه، ٣٤٦/١٢.
- (٦٩) قلعة الشوش: قلعة عالية جدا قرب عقر الحميدية من أعمال الموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ٣٧٢/١٢.
- (٧٠) ابن الأثير: الكامل، ٤١١/١٢-٤١٢.
- (٧١) المصدر نفسه، ٤٢٣/١٢.
- (٧٢) المصدر نفسه، ٤٤٤/١٢-٤٤٦.
- (٧٣) دُونيسر: بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخان. ياقوت

- الحموي: معجم البلدان، ٤٧٨/٨.
- (٧٤) ابن الأثير: الكامل، ٤٥٤/١٢.
- (٧٥) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٧٦) المصدر نفسه والجزء والصفحة.
- (٧٧) أجميلي: دولة الاتابكة، ص ٢٢٩.
- (٧٨) المرجع نفسه، ص ٢٢٩-٢٣٠.

دراسات موصليّة. العدد الخامس والعشرون. رجب ١٤٣٠هـ. - تموز ٢٠٠٩م

(٣٢)